رقي العلوم الطبية

اجرى الدكتور كالمات (Calmette) ، التابع لمعهد پاستور ، اختبارات ناجحة باستخدام مصله الواقي من السلّ الدرّني لمعالجة المولودين حديثاً . وفي ميدان آخر بحث الاختصاصيّون ، على طريقة جديدة ، عن اسباب انتشار السرطان ، مستندين الى الاحصاءات الدُولية . فبعضهم يقول بان درجة انتشاره تختلف باختلاف الاجناس البشريّة ، ويذهبون الى ان الشعوب القاطنة بجوار البحر المتوسط ابعد عن ذاك المرض من الشعوب الشمالية . والبعض يعلّلون اختلاف درجة انتشار السرطان باختلاف خواصّ الاراضي ، فيقولون ان الاراضي الصلصاليّة تسهّل انتشارهُ . وعلى كل الحال لم تُفضِ المباحث الى نتيجة علمية اكيدة

كتاب الاغاني

وطبعته الجديدة

بقلم الاب انطون صالحاني اليسوعي

نبشر طلّاب الادب بانّهُ وُجد مؤخرًا من ينشر كتاب الاغاني بطبعة تليق به !

ان كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني كتاب نفيس جليل القدر لم يؤلّف مثله في العربية . جمعهُ صاحبهُ في خمسين سنة وضمّنه تراجم كثير من شعراء العرب من جاهليين ومُخضرمين واسلاميين ومُحدثين . وتراجم كثير من المغنين في الدولتين الاموية والعباسية . واستطرد فيه لاخبار حروب وقصص ونُكت جمعت بين الفائدة واللذة . وابرز كل ذلك بعبارة عربية صريحة فصيحة منزّهة عن التصنّع والتكلّف وبرودة الاستعارات . فهو ينبوع للادب يرده كل متأدّب ، وكل كاتب كلف بالانشاء المتين

وقد وصفه صاحبه بنصه الشائق فقال انه « جمع فيه ما حضرهُ وامكنه جمعه من الاغاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما ذكره منها الى قائل شعره وصانع لحنه ... واعتمد في هذا على ما وجد لشاعره او مغنّيه او السبب

الذي من اجله قيل الشعر او صُنع اللحن خبراً يُستفاد... واتى في كل فصل بنُتف تشاكله ولُمع تليق به وفِقَر، اذا تأملها قارئها، لم يزل مستقلاً بها من فائدة الى مثلها ومتصرفاً بها بين جدّ وهزل وآثار واخبار وسِيَر واشعار متصلة بايام العرب المشهورة واخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام، تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الاحداث الى دراستها ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها. اذ كانت مُنتخلة من غُرر الاخبار ومستقاة من عيونها ومأخوذة من مظانّها. ومنقولة عن اهل الخبرة بها»

قال ابو محمد المهلّبي ان ابا الفرج اهدى كتاب الاغاني الذي كان كتبه بخطه الى سيف الدولة فانفذ له الف دينار. ولما سمع الصاحب بن عباد قال: «لقد قصّر سيف الدولة وانّه ليستحقّ أضعافها اذ كان مشحوناً بالمحاسن المنتخبة والنُتَف الغريبة فهو للزاهد فُكاهة، وللعالم مادّة وزيادة، وللكاتب بضاعة وتجارة، وللبطل رُجلة وشجاعة، وللمضطرب رياضة وصناعة، وللملك طيبة ولذاذة. ولقد اشتملت خزانتي على مائة الف وسبعة عشر الف مجلد ما فيها سيري غيره.» ولقد كان عضد الدولة لا يفارقه في سفره ولا في حضره. وذكر ابن خلكان «ان ابن عباد كان يستصحب في اسفاره حمل ثلاثين جملاً من كتب الادب فلما وصل اليه هذا الكتاب لم يكن بعد ذلك يستصحب غيره لاستغنائه به عنها»

قلتُ وهذا يدلّك على ولع كبار القوم في ذلك العصر بكتب الادب وعلوّ قدر كتاب الاغاني

فلا عجب ان اعتبر الادباء هذا الكتاب الجليل. والمستشرقون هم اول مَن انتبه له وقد عهدناهم اهل عزم وحزم واقدام. فدرسوا نُسخه الخطية المختلفة واكتسبوا منه منافع جزيلة، وصمّموا النية على نشره بالطبع تعميماً لفوائده وخدمةً للادب العربي. فاقبل على العمل غير هيّاب العلامة كوسفارتن الالماني بعد ان استمدّ له مدة عشرين سنة. فبرز المجلّد الاول في السنة ١٨٤٠ مصدّراً بمقالة واسعة في اللاتينية في ٢٠٦ صفحات كبيرة تكلم فيها صاحبها عن الغناء عند قدماء العرب وكيفية اتصاله اليهم، وعرّفنا بأشهر المغنين والمغنيات في ايام الخلفاء الراشدين، فدولة الامويين، فاوائل دولة العباسيين. وذلك في

٣٢ صفحة. وخصص ١٧٤ صفحة من المقدمة لشرح صناعة الغناء ووصف آلات الطرب عند العرب، ولذكر مؤلفات ابي الفرج، وايضاح الطريقة التي سلكها في تأليف كتاب الاغاني، ولذكر الذين اختصروه، ولتبيان النسخ التسع التي اعتمد عليها في نشر الكتاب. وأثبت تالو المقدمة في ١٢٩ صفحة ترجمة المتن العربي الى اللاتينية نثرهُ ونظمهُ مع ما رآهُ مفيدًا من الملاحظات. وطبع المتن العربي في ٢٣٨ صفحة باحرف جلية مع سعة معتدلة بين الالفاظ المحلاة بالشكل الكامل. فيرتاح النظر في مطالعتها ويفهم العقل بدون عناء معانيها. وان كانت لا تخلو من بعض الاغلاط خاصةً في ابيات الشعر. وينتهي هذا الجزء الاول باخبار ابن مُحرز

فترى مما سبق جدّ المستشرقين وتدقيقهم وعنايتهم في نشر الكتب لتكون في اقصى درجة من الكمال يمكنهم الحصول عليها

في تلك الاثناء ظهرت الاجزاء الاولى من كتاب الاغاني التي اصدرتها في السنة ١٢٨٥ه. مطبعة بولاق الاميرية. فكفّ المستشرقون عن اكمال ما كانوا ابتدأوا به لعلمهم بانّ صاحب البيت ادرى بما فيه، ولظنّهم ان أدباء العرب اقدر من غيرهم على نشر هذا الكتاب النفيس. الّا ان املهم خاب اذ رأوا تلك الطبعة السقيمة قلباً وقالباً، فانها خالية من مختلف الروايات والفهارس ولا تجد، في اجزائها العشرين، كلمةً واحدة مضبوطة بالحركات، وترى الالفاظ ملزوزة كأن السطر افظة واحدة. فيتعب النظر في مطالعتها، وهي مملوءة بالتحريف والتصحيف. ومع ذلك فهذه الطبعة، وان سقيمة، قد خدمت الادباء وخاصةً المستشرقين خدماً جليلة لعدم وجود غيرها فتهافت عليها الادباء ولا تهافت الجياع على القصاع. فلا ترى مستشرقاً عُني بنشر كتاب او ديوان شعر عربي الّا ويشير الى كتاب الاغاني ويقتبس منه. هذا ما حدا بنا الى اختيار اجل ما في الكتاب لنُتحف به اهل الادب في جزئين عنوّناهما « رنات المثالث والمثاني في روايات الاغاني »

وفي السنة ١٣٢٣ه. ظهرت الطبعة الثانية لكتاب الاغاني بمطبعة التقدّم بمصر. فأبقيت فيها اغلاط الطبعة الاولى وزيدت فيها اغلاط جديدة. فكانت طبعة تجارية اكثر منها علمية

لكنّ ارباب الطابع في مصر افاقوا من بضع سنوات من غفلتهم فاخذوا يحتذون طبع الكتب التي ينشرونها

ومن سنتين حرّكت الاريحية حضرة السريّ النبيل السيّد عليّ راتب. فرغب في اعلاء شأن اللغة العربيّة وفكّر باعادة طبع الاغاني طبعة تليق بهذا المؤلّف المنقطع النظير فتسهّل على المتأدبين الاستفادة منه وقد تكفّل بنفقة الطبع في مطبعة دار الكتب المصرية وتبرّع لها بجميع نُسخ الكتاب. والامل ان يحذو حذوه كثيرون من اصحاب الثروة. وقد شكره على هذه الاريحية وزير المعارف ورئيس المجلس الاعلى لدار الكتب المصرية

فباشر القسم الادبي في دار الكتب مراجعة الكتاب وتصحيحه وضبط غريبه وجميع اعلامه وما ورد فيه من شعر، مع شرح ما غمض في ثنايا الكتاب، وتصويب ما وقع من التحريف في طبعتيه السابقتين معتمدين على ثماني نسخ ومستعينين باكثر من سبعين مؤلّفاً لتصحيح الكتاب ذُكرت اسماؤها في التصدير. الّا ان بعض هذه الكتب لا تفيدهم كثيراً ولا قليلاً للغاية المبتغاة. وكنّا نودّ لو استعانوا ببعض دواوين الشعر التي نُشرت بالطبع في السنوات الاخيرة ولم يرد لها ذكر في التصدير، وهي بدون شك بين ايديهم او قريبة منهم في الكتبة الخديوية كشعر عبيد بن الابرص وعامر بن الطفيل وديوان المفضليات الذي عني بطبعه المرحوم السر ليل في ٨٩٢ صفحة بقطع كبير. وديوان الاخطل والقطامي وذي الرمّة والعجاج ورؤبة والهذليين والخنساء والاصمعيات ونقائض جرير والفرزدق ونقائض جرير والاخطل وغيرهم. فان هذه الدواوين تساعدهم مساعدة اعظم من كثير من الكتب التي ذكروها في التصدير على اصلاح ما وقع في الطبعتين السابقتين من الاغلاط في الاشعار التي اوردها صاحب الاغاني. وفي ظنّنا انهم سيُشيرون الى دواوين الشعراء هذه وان لم يرد لها ذكر في التصدير فقد رأيناهم يذكرون ديوان الاخطل ٢٤٣ : ١١ ت

اننا نستبشر خيراً بالطبعة الجديدة لما عرفناه من مقدرة اللجنة الموكول اليها تصحيح الكتاب فانها مؤلفة من اكابر الاساتذة والعلماء في العربية

أهدي الينا مؤخراً الجزء الاول من هذه الطبعة الحديثة. فنقول الحقّ اننا

طالعناه ببهجة ولذة فالفيناه حائزاً كل كمال نتمناه في مثل هذه الكتب ويرغب فيه كل اديب سواء كان في حسن الطبع والورق او الضبط او صحة الرواية او تفسير ما غمض. وقد الحقوا بهذا الجزء ، في مائة وعشر صفحات بعمودين ، ثمانية فهارس واسعة لاسماء الشعراء الذين ورد لهم ذكر في هذا الجزء ، ولرجال السند ، والمغنين ولرواة الالحان ، ولاعلام الناس والقبائل والبلاد ، ولأسماء الكتب التي وردت في الكتاب او في حواشيه ، وللقوافي وانصاف الابيات ، ولايام العرب ، وللامثال الواردة في الكتاب ، وللموضوعات كما دُوّنت على هوامش صفحاته

فليسمح لنا بابداء رأينا في هذه الفهارس. فنقول : ان كثيراً مما أثبت في فهارس الجزء الاول سيرد له ذكر لا محالة في فهارس الاجزاء التابعة ، وهي عشرون جزءاً . اذا كان الاوفق ان يُفرد عند نهاية طبع الاجزاء كلها جزء كامل للفهارس ، وان واسعاً . فاذا اراد اديب او مؤرخ ان يعرف كل ما ورد في الاغاني عن شاعر ما او بلد او قبيلة او بيت شعر الخ . لا يلزم أن يقلّب فهارس عديدة متفرقة في عشرين جزءاً ، بل يكون بين يديه فهرس عام في مجلّد واحد يجد فيه كل ما يرغب الدلالة عليه في كل الاجزاء بخصوص الشاعر او البلد او القبيلة او بيت الشعر المنشود الخ . كما صنع فوربدي لطبعة الاغاني الاميرية وبيّن لتقاض جرير والفرزدق : ما لم يكن في عزم المتوكلين بطبع الكتاب ان يعملوا فهرساً عاماً لجميع الاجزاء في مجلّد واحد عند نهاية الطبع. فتبطل اذ ذاك فائدة فهارس كل جزء بمفرده . هذا فضلاً عن ان الفهرس في كل جزء من الكتاب يشغل مائة صفحة ونيّف فيجعل ثمنه اغلى فيصعب على غير الموسرين اقتناؤه

ولدينا ملاحظة اخرى وهي ان الفهارس تشير الى الصفحة في الكتاب والسطر في الصفحة . فيحسُن ان يوضع في هامش صفحات الكتاب بالتتابع والترتيب الاعداد ٥، ١٠، ١٥، ٢٠ ازاء السطر الخامس والعاشر والخامس عشر والعشرين فيقف المطالع بسرعة ودون عناء على السطر المطلوب الذي عيّنه الفهرس . والّا فيلزم ان يعدّ الاسطر فيُضيع وقتاً ثميناً

ثمَّ انَّ الارقام ترد بوفرة في الفهارس وتشغل موضعاً واسعاً فتزيد صفحات الكتاب . ولا يصعب التوفير ، وذلك بان يُوضع الرقم الدالّ على السطر على يمين الرقم الدالّ على الصفحة ويوضع في اعلاه ويكون دقيقاً . مثلاً ٣٧٥[٨] عوض ٣٧٥ : ٨ وقد اتّبعنا هذه الطريقة في فهارس شعر الاخطل فاخترنا ارقاماً غليظة للصفحات ودقيقة للاسطر

ويحسن ايضاً ان توضع نجمة صغيرة على يسار الرقم في اعلاه للدلالة على السطر في التعليقات مثلاً ٢٥٩[٢]* عوض ٢٥٩ : ٢ ت

كثيرًا ما يشير المستشرقون في تآليفهم الى كتاب الاغاني والى طبعة بولاق الاميرية مع تعيين صفحاتها . ومن المحقق ان هذه الطبعة ستُلقى في زوايا الاهمال والنسيان بعد ظهور طبعة دار الكتب المصرية . فيحسُن ويفيد جدًّا ان تُعيَّن في الطبعة الحديثة صفحات الطبعة القديمة لكي يسهل على الادباء ان يجدوا بسرعة ، في الطبعة الحديثة ، ما اشار اليه المستشرقون وغيرهم في مؤلفاتهم في الطبعة القديمة . والطريقة في ذلك هي ان يضع صفّاف الحروف في اثناء سطور الصفحة بين هلالين او معكّفين عدد الصفحة القديمة . وليس في هذا العمل كبير عناء او كلفة او خسارة بل فيه فائدة عظيمة للادباء ولدار الكتب اذ يُقبل كثيرون على اقتناء طبعة حاصلة على كل ما يُرغب فيها من التسهيلات والتحسينات والكمال

في السطر الاخير من الصفحة ٢٨ نقصٌ بيّن في العبارة . وكمالها كما في طبعة بولاق: ١٥[٢٢] : « قال ويُقال فلان في أُسيّته اي في أصله . والأُسيّ والاساس واحد . وذُرى كل شيء اعاليه وهو جمع واحدته ذُرْوَة . ويروى أبلغنَّ السلام ان جئتَ قومي . وروى الزُّبير الخ »

في الصفحة ٥٥[١٢] عَاوِهْ . الصواب عَلَوَّهْ

« « ٦٢* للهضم . يروى في طبعة اوربة «للخصم»

« « ٩١* هذا لَعمرُكَ . يُروى : « نِعَمْ لَعمرُكَ »

« « ٣٢٧[٢] أُصِيلَ مَدامِعُهْ . الصواب « أُصِيلٍ مَدامِعُهْ »